

كَشَفُ الشُّبُهَاتِ

وَبَيْلِيهِ

الرَّسَالَةِ الْمَفِيدَةِ

لِتَفْهِيمِ الْإِسْلَامِ

بِمُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

حَمْدُ اللَّهِ

عَلَى هَوَاثِمِ الشَّيْخِ الْعَلَامِيِّ

بِمُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ

كشَفُ الشُّبُهَاتِ

وَيْلِيهِ

الرَّسَالَةُ الْمَفِيدَةُ

تَبَيَّنَ الْإِسْلَامُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار ابن جرير

للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٧٦٩٩٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمُ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ،
وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ . فَأَوَّلُهُمْ
نُوحٌ ^(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي
الصَّالِحِينَ وَذَا مَوْسَى وَمُؤَاوَاةً وَيُحْيَى وَيَعْقُوبَ وَنِسْرًا، وَآخِرُ الرُّسُلِ
مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُورَهُمْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ
إِلَى قَوْمٍ يَتَّبِعُونَ وَيُحِبُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ
كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ اللَّهِ .

• يُسْأَلُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمْ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ ^(٢)، وَنُرِيدُ
شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ؛ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأَنَاسَ

(١) أي أول الرسل الذين بعثهم الله لدعاه قومه إلى توحيد الله وتخليصهم من الشرك
به، ولما أول الأنبياء مطلقاً فهو آدم عليه السلام

(٢) أجمع العلماء على أن من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه زائعا أنه يفرقه إلى الله
- أنه كافر خارج عن حلة الإسلام كما ذكره في كشف الغطاء على منار الإقناع في
باب حكم المرتد، وهذا هو الذي عليه عهد القصور في هذه الأركان سواء بسواء

غيرهم من الصالحين

فَبَشِّرْهُم بِأَنَّ إِلَهُهُم مَّحَمَّدٌ ﷺ يُجَدِّدُ لَهُم دِينَ أَبِيهِمْ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُخَيِّرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبُ وَالِاعْتِقَادُ
مَحْضٌ حَقُّ اللَّهِ لَا يَضْلُجُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ لَا لِمَلِكٍ
مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا، وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكُونَ مُقَرَّرُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُخَيِّرُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُمَيِّتُ
إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهَا كُلُّهُمْ عِبْدُهُ وَتَحْتَ
نَصْرُهُ وَقَهْرُهُ.

فَإِذَا أُرِدَّتِ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلْتَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا فَأَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَمَنْ
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ

لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ. قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿١﴾ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا ^(١) وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَعَلُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا (الاعتقاد) كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ مُبْخَاةً لَيْلاً وَنَهَاراً.

• ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صِلَاتِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ لِيَسْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ اللَّاتِ أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَاتَلَهُمْ عَلَى

هَذَا الشِّرْكَ^(١) وَدَعَاَهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَخَذَهُ كَمَا
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾
 وَقَالَ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
 يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتِلُهُمْ
 لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ،
 وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلَّهِ،
 وَعَسَرْتُ أَنْ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ لَمْ يَدْخِلْهُمْ فِي
 الْإِسْلَامِ، وَأَنْ قَضَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ أَوْ الْأَنْبِيَاءُ، أَوْ الْأَوْلِيَاءُ،
 يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ
 دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، عَزَمْتُ جَبْتِي التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ
 الرُّسُلُ، وَأَتَى عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ
 مَعْنَى قَوْلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ الْإِلَهَ عَنْدهُمْ هُوَ الَّذِي

(١) الذي هو دعوا غير الله مع الله. قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فدللت الآية
 الكريمة على أن دعاء الأموات وبداءهم والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر الذي لا
 يعفوه الله إلا بالضرورة.

يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ^(١)، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جَنًّا لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَتَعَوَّنُ بِالْإِلَهِ مَا يَتَعَنَّى الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ^(٢). فَأَتَانَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّعْلُقِ بِهِ^(٣) وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالتَّبَرُّاعَةُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) أي طلب الشهادة منهم والتوجه إلى الله بدعائهم من دون الله ومع الله.

(٢) مراد بالسيد ما يحتضنه الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذي يلبسون على العوام بأنهم أهل كرامات وتصرف في الأمور وأنه يسمى الائتداء إليهم ودعائهم والتوسل بهم إلى الله، فالعامة يسمون هذا الدجال سيِّداً وهذا معروف معلوم وهذا مراد الشيخ رحمه الله.

(٣) أي تعلق القلب به سبحانه فلا يرضى أحد سواه ولا يدهى غيره ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يستعان إلا به.

قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.
 فإذا عرفت أن جهال الكفار يفرقون ذلك، فالعجب
 ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما
 عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك^(١) هو التلغظ بحروفها
 من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحادق منهم
 يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله^(٢)، ولا يُدبر الأمر
 إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى
 لا إله إلا الله.

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك
 بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
 وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وعرفت دين الله الذي

(١) بل يحسن تفسيرها والمراد منها هو مجرد اللفظ بها وهذا طعن قاسد، بل المراد منها
 إفراد الله بالخلق أي ما به المصنف وحده الله من مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة.

(٢) ما أكثر هذا المصنف - لاكثره الله - طوا أن معنى هذه الكلمة - والمراد
 منها - هو توحيد الربوبية فلهذا جعلوا توحيد العادة وصرفوه لغير الله فظنوه من
 الأماني والغائبين وسألوه ما لا يقدر عليه إلا الله وهذا هو الشرك الأكبر وإن سموه
 توحيداً.

أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ
مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتُ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ
الْجَهْلِ بِهَذَا أَفَاذَكَ فَاتَذَتْنِ :

الأولى : الْفَرْحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَأَفَاذَكَ أَيْضاً الْخَوْفُ الْعَظِيمُ ^(١) ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ
الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ
جَاهِلٌ ، فَلَا يُعَذِّرُ بِالْجَهْلِ ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تَقَرِّبُهُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْكُفَّارُ الْمُشْرِكُونَ ، خُصُوصاً
إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصُ عَنْ قَوْمِ مُوسَى مَعَ صَلَاحِهِمْ
وَعِلْمِهِمْ ، أَنَّهُمْ اتَّوْهُ قَاتِلِينَ : «اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ» .
فَجِئْتُكَ بِعَظْمِ جُرْصِكَ وَخَوْفِكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا ^(٢)
وَأَمثَالِهِ .

(١) وهو القاتلة الثانية

(٢) أي من الكفر واسمائه فإن هؤلاء العلماء الصالحاء ظنوا من موسى أن يجعل لهم

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ سَحَابَةٌ مِنْ حُكْمِهِ لَمْ يَنْبَغِ سَيِّئًا بِهَذَا
التَّوْحِيدِ إِلَّا حَمَلَ لَهُ أَعْدَاءُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُنْتُ وَخَجَحُ
كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا حَادَّتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَرِحُوا
بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ
مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَضَاخَةٍ وَعِلْمٍ وَخَجَحٍ،
فَالْوَاحِشُ عَلَيْكَ أَنَّ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ لَكَ سَلَاخًا
تُقَالُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدِّمُهُمْ لِرَبِّكَ
عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا تَعْدُونَ لَهُمْ عِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ، ثُمَّ لَا تَنْتَهُمُ
مَنْ يَبِيْ أَيْدِيَهُمْ وَمَنْ حَلَمَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ
وَلَا تَحْدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

اللَّهُ يَدْعُوهُمُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ دُونَ اللَّهِ، وَهَذِهِ جِلَّةُ عِلَالِ الْغُلُوِّ فِي هَذِهِ الْعُصُورِ يَفْرُقُونَ
بَيْنَ اللَّهِ يَدْعُوهُ لِأَحْوَابٍ وَتَدْبِيحٍ بِهِ، لَا سَهْوَةَ بِهِ، وَهَذَا كَيْفَ يَطْرُقُهُمْ مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهُ

ولكن إذا أقبلت على الله، وأضعت إلى حُججه
 ونِباته، فلا تحف ولا تحزن ﴿إِنْ كَبِدَ الشَّيْطَانُ كَانَ
 ضَعِيفاً﴾، والعائِي من الموحدين يعلب ألقاً من علماء
 هؤلاء المشركين، كما قال تعالى ﴿وَإِنْ خُذْنَا لَهُمُ
 الْغَالِبُونَ﴾، فخذ الله هم العالمون بالحق واللسان،
 كم أنهم العالمون بالسيف والسان، وإنما الخوف على
 الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد مرّ
 الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله شيئاً لكُر شيء، وهدى
 ورخصة وشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بخفة
 إلا وفي القرآن ما يقصّها ويبيّن نطلاتها، كما قال تعالى
 ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾.

(١) وأراد محمد الله عما الدرس من أن ما ألوح به عبده وعصفو بعد وعيده من نعمه بامع
 والعمل الصالح واصموا إلى حجاج الله ورسالة وأصرو على بعده ذلك بعدد أربعة
 واحصاهم به ودعوا الناس إلى ذلك. فإن بشر العبد المانع ودعوه إلى من
 تواجد ولو لم يطلب ذلك من الإنسان كما ذكره المحقق في ٢ - ثلاثة
 أصوار

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ هَذِهِ آيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ السَّاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَأَمَّا أَذْكَرُ لَكَ أَشْيَاءٌ^(١) مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامِ اخْتِجَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي رَمَاسِ عَلِيٍّ هَذَا فَقُولُ:

حَوَاتِ أَهْلَ السَّاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ فَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْمَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا، وَدَلِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، وَقَدْ صَحَّ^(٢) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُسْعَوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»

﴿مَثَلُ ذَلِكَ إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ

^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ شَيْءٌ جَبَّسَ عَلَيْهِ مِنْ حَذَرِ عَدُوِّهِ وَرَحِمَهُ اللَّهُ الْعَدِيدِينَ بِالطَّرِيقِ الْمُرْصَلَةِ
مِنْ مَعَالِهِ دُونَ اللَّهِ يُصَدِّقُونَ النَّاسَ فِيهِ

^(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَشْأَةِ

اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾، أَوْ اسْتَمِنَ
 بِالْشَّفَاعَةِ أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ حَاةٌ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ ذَكَرَ
 كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ بِسْتَدْلٍ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ، وَأَنَّ لَا
 تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّتِي ذَكَرَهُ، وَحَاوَتْهُ بِقَوْلِكَ يَا اللَّهُ
 ذَكَرَ أَنَّ الدِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ يَتَرَكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَسْعَوْنَ
 الْمُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ
 يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
 وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾
 هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْبَلُ أَحَدٌ أَنْ يُعَيِّرَ مَعْنَاهُ، وَمَا ذَكَرْتَهُ
 لِي أَنَّهَا الْمُشْرِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَعْرِفُ
 مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَنْقُصُ، وَأَنَّ كَلَامَ
 النَّبِيِّ ﷺ لَا يُحَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا حَقٌّ
 سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَسْتَهِنِ
 بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا،
 وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

وَأَمَّا الْجَبَاوُ الْمُفْضَلُ فَإِنَّ أَغْدَاءَ اللَّهِ لَهُمْ
 اغترافات كثيرة على دين الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ
 • مِنْهَا قَوْلُهُمْ بَخْرٌ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ، بَلْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
 وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْعَمُ وَلَا يَصْرُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَصَلَا عَنْ عَبْدِ
 الْقَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَمَا مَذْبُوبُ الصَّالِحِينَ لَهُمْ جَاهُ عِنْدَ
 اللَّهِ، وَأُظْلِمَتْ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ^(١)، فَجَلَوِيَّةٌ بِمَا تَقْدِمُ وَهِيَ أَنَّ
 الْإِنْسَانَ فَانِلَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُقَرَّرُونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقَرَّرُونَ
 أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تُدَسِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الْجَاهُ وَالشُّقَاعَةَ
 وَأَقْرَأَ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ^(٢) وَوَضَحَتْهُ

• فَإِنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ بَرَلَتْ فِيمَنْ يَتَعَدَّى الْأَصْنَامَ،
 كَيْفَ تَحْمِلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الْأَصْنَامِ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ

(١) أي بوسطنهم بأن يحميهم وسائط به ويس الله القريب المحب ويحد هو الذي
 عليه مدار الأمور وهو كثر بإجماع العلماء

(٢) أي من الآيات به الله على كثر من دهر غير الله من الأمور والأحاديث والأشعار
 ويعرف إليه ماله، أي وحده

الأنبياء أضاماً؟ فحاوثة بما تقدم فإية إذا أمر أن الكفار
يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا من قصدوا إلا
لشاعة

ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره،
فذكره أن الكفار منهم من يدعوا الصالحين والأضام
ومنهم من يدعوا الأولياء الأديين قال الله فيهم ﴿أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾،
ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى ﴿ما
المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل،
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم صراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ وأذكر
ه قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة
اهؤلاء أيانكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الحق أكثرهم بهمة مؤمنين ۝

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَآمَنِي إِلَهُيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ، الآية ، فقل له : أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقائلهم رسول الله ﷺ

* فإن قل الكفار يريدون منهم : وأنا أشهد أن الله هو السافع الصار المدثر لا أريد إلا مة والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدتهم أرخومس الله شفاعتهم فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء فقرأ عليه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

* واعلم أن هذه الشبهة الثلاث^(١) هي أكثر ما عجزهم ، فإذا

١١. لأولى قولهم نحن لا نشرك بالله و - عليه محمد الآية تمت خمس بعد الأصنام

والله محمد تكلم يريدون - محمد

عرفت أن الله وصحبها في كتابه، وجهنتها فيها حبداً فما
بعدها يسر منها.

❖ فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَهَذَا الْإِنْتِهَاءُ إِلَى
الصَّالِحِينَ، وَدَعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَأَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ
وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: يَسِّرْ لِي هَذَا
الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَخُدْهُ وَهُوَ حَقُّهُ
عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا أَسْوَأَهَا^(١) فَيَسِّرْ لَهُ
بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبُّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةَ لِلَّهِ؟
فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالِدُّعَاءُ مَعَ الْعِبَادَةِ، فَقُلْ لَهُ: إِذْ
أَقْرَرْتُ أَنَّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ وَدَعَوْتُ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً حَوْماً وَطَمَعاً،

(١) لأنه يترجم أن الانتهاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة وهذا عين الجهل بالعباد
وهو الذي عليه عباد الأوثان سمووا هذه العبادة بوسلاً وصبروها بغير الله

سَمِ دَعَوْتُ فِي نَتِكَ الْخَاحِ سَا أَوْ عَيْرُهُ هَلْ أَشْرَكْتُ فِي
 عِبَادَةِ اللَّهِ عَيْرُهُ؟ فَلَا تُدْ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: هَذَا عَمِلْتُ
 بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وَأَطَعْتُ اللَّهَ
 وَحَرَمْتُ لَهُ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ، فَلَا تُدْ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ:
 هَذَا حَرَمْتُ لِمَخْلُوقٍ سِوَى أَوْ حَيٍّ أَوْ عَيْرِهِمَا، هَلْ أَشْرَكْتُ
 فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ عَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَا تُدْ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ، وَقُلْ
 لَهُ أَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، هَلْ كَانُوا
 يَغْتَدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَالْآلَاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا تُدْ أَنْ
 يَقُولَ نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِنْيَانَهُمْ إِلَّا فِي
 الدُّعَاءِ وَالذُّنُوحِ وَالْإِنْتِخَاءِ وَحُودِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهَيْمُ مَقْبُورُونَ أَنَّهُمْ
 عَبْدُ اللَّهِ وَنَحْتُ قَهْرُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْيَدِي يُذَبِّرُ الْأَمْرَ وَلَيْكِنْ
 دَعْوَاهُمْ، وَانْتَحُوا إِلَيْهِمْ لِلْحَاءِ وَالشُّعَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا.
 * فَإِنْ قَالَ أَتَكْفُرُ شُعَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا فَقُلْ
 لَا أَتَكْفُرُهَا وَلَا أَتَبْرَأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّاعُ وَالْمُشْفَعُ وَأَرْحُو
 شُعَاعَتَهُ، لَكِنَّ الشُّعَاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ لِلَّهِ

لشفاعته جميعاً) ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾، وهو لا يرصى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فإذا كانت الشفاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَطُلِّبَتْ مِنْهُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمَنِي شَفَاعَتَهُ، ائْلَهُمْ شَفَعَهُ مِنْ، وَمِثَالُ هَذَا.

❖ فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّاعَةَ وَأَنَا أُطْلَبُ مِمَّا أُعْطَاهُ اللَّهُ، فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ أُعْطَاهُ الشَّاعَةَ وَبِهَاجِ عَزْ هَذَا فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

وإذا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَشْفَعَ بِنَبِيِّكَ، فَأُطْلَعُ فِي قَوْلِهِ ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَابْصُرْ أَنَّ الشَّاعَةَ أُعْطِيَتْ غَيْرَ

السَّيِّئِينَ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ وَالْأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ
وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، أَنْتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَعْظَاهُمْ الشُّفَاعَةَ
وَأَطْلَهَا مِنْهُمْ؟ فَإِنْ قُلْتَ هَذَا رَحِمْتَ إِلَى عَادَةِ الصَّالِحِينَ
الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ لَا، نَطْلُقُ قَوْلَكَ أَعْظَاهُ
اللَّهُ الشُّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلَعُ مَا أَعْظَاهُ اللَّهُ

❖ فَإِنْ قَالَ أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا خَاشَا وَكَثَلًا وَلَكِنْ الْإِتِّخَاءَ
إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ شَرِكًا، فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ الشُّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الرَّمَى وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ،
فَمَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، فَإِنْ كَانَ
لَا يَذَرِي، فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُرَى نَفْسُكَ مِنَ الشُّرْكِ وَأَنْتَ لَا
تَعْرِفُهُ؟ أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ وَلَا
نَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا نَعْرِفُهُ، أَنْظِرْ أَنْ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يَبَيِّنُهُ لَنَا؟

❖ فَإِنْ قَالَ الشُّرْكَ عَادَةُ الْأَصْنَامِ وَشَرٌّ لَا تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
فَقُلْ وَمَا مَعَى عَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ أَنْظِرْ أَنَّهُمْ يَتَّقِدُونَ أَنَّ
تِلْكَ الْأَحْشَاءَ وَالْأَحْصَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ

دَعَاهُ؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ نَعْلَمُ ﴿قُلْ مَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةُ

﴿ وَإِنْ قَالَ هُوَ مِنْ قَصْدِ خَشْئَةٍ أَوْ نَجْوٍ أَوْ نُفْبَةٍ عَلَى قَوْمٍ أَوْ

غَيْرِهِ يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْسُحُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ، إِنَّهُ يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ

زُلْمَى وَيَذْفُقُ عَمَّا سَرَّكَتِهِ وَيُعْطِينَا سَرَّكَتَهُ

فَقُلْ صَدَقْتُ، وَهَذَا هُوَ فَعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَلِلسَّيِّئَاتِ

الَّتِي عَلَى الصُّورِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا أَقْرَبُ أَنْ فَعْلُهُمْ هَذَا هُوَ عِدَّةُ

الْأَضْمَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً قَوْلْتُ « لَشَرِكُ

عِبَادَةِ الْأَضْمَامِ »، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشَّرِكَ مَحْصُوصٌ بِهِدٍ،

وَأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا؟

فَهَذَا يَزِيدُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرٍ مِنْ تَعْنُقِ عَمَى

الْمَلَائِكَةِ أَوْ عَيْسَى أَوْ الصَّالِحِينَ فَلَا يُدْرِكُ يَقُولُ لَيْسَ مِنْ

أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ شَرِكُ

الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ

﴿ وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ، فَقُلْ لَهُ

وما اشرك بالله، فسرّه لي ؟ فإن قال : هو عادة الأصنام ،
فقل : وما معنى عادة الأصنام فسرّها لي ^(١) ؟ فإن قال أنا لا
أعتمد إلا الله وحده فقل : ما معنى عادة الله وحده فسرّها
لي ؟ فإن فسرّها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب ^(٢) ، وإن لم
يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه ، وإن فسر ذلك بغير
معناه ثبت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله
وعادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان معيه ،
وأن عادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا
ويصنعون كما صاح إخوانهم حيث قالوا : (أحقل الآلهة
بها واحداً ، إن هذا شيء عجب) .

* وإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء ،

(١) معنى عادة الأصنام التحدث وسائط بأن يعرب إليها عابدها بما يرحم أن يقره إلى
له تدخّل لها والذر ودعائها كما يعمده المشركون عند الأسواق

(٢) إن كان الله سبحانه وتعالى العادة التي أمر بها عبده في كتابه ، فقال تعالى ﴿وما
أمرنا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ١٦٠ . ويعبر عن آيات الدين عن

وَنُحَا يَكْفُرُونَ لَمَّا قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَاتُ اللَّهُ، وَبِأَلَمْ يَقُلْ
عِنْدَ الْقَدِيرِ اسُ اللَّهُ وَلَا عَمِيرَةٌ فَالْحَوَابُ إِذْ سَنَةُ الْوَلَدِ إِلَى
اللَّهِ كُفْرًا مُسْتَقِلًّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ
الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص ٢-١]، وَالْأَحَدُ الَّذِي لَا يَصِيرُ لَهُ،
وَالصَّمَدُ الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ، فَمَنْ حَجَّدَ هَذَا، فَقَدْ
كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحِدِ السُّورَةَ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ
مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [التَّوْسُوت ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ
السُّوَعِيرِ، وَخَفَلَ كُلًّا بَيْنَهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا وَقَالَ تَعَالَى
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ
بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الْأَنْعَام ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ وَلَدَلِيلٍ
عَنِ هَذَا، أَيْضًا أَنَّ الْدِّينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللَّاتِ، مَعَ كُوبِهِ
رَجُلًا صَالِحًا، ثُمَّ يَجْعَلُوهُ اسُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِصَادِقِ
الْجِنِّ ثُمَّ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْعُنَمَاءُ فِي
كُلِّ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، يَذْكُرُونَ فِي نَابِ حُكْمِ الْمُتَرْتَدِّ
أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا دَعِمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَتُفَرَّقُونَ بَيْنَ

التَّوَحُّيْنَ، وَهَذَا فِي عَايَةِ الْوُضُوحِ

❖ وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يوس ٦٢) فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لَا يُفْعَدُونَ، وَتَحَزُّنُ لَمْ يَذْكَرْ إِلَّا عِبَادَتُهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَشِرْكُهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا: فَالْوَاحِدُ عَلَيْكَ حُثُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالْإِقْرَارُ بِكِرَامَتِهِمْ، وَلَا يَخُحِّدُ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ. إِنْ ح. وَدِئِ اللَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ حَرْفَيْنِ، وَهَذَيْنِ نِسْ صِلَاتَيْنِ، وَحَقٌّ نِسْ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ^(٣) الْمُشْرِكُونَ فِي رِجَالِهِ هَذَا «الْإِعْتِقَاد»، هُوَ الشُّرْكُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

(٣) عدد من قول الشيخ رحمه الله وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في رِجَالِهِ الْإِعْتِقَادَ وَمِرَادُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ الْمَشْرُكِينَ يُغَرِّبُونَ إِلَى اللَّهِ دُعَاءَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ، وَصَرَّحُوا لَهُمْ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ مِنَ الْمَدْحِ وَالْمَدَرِّ وَالْإِسْقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مُعْتَقِدِينَ أَنَّ ذَلِكَ مَرْبُهُ إِلَى اللَّهِ يَسْتَلُونَ بِهِ الرِّقَى لَهُمْ وَلَكِنْ هَذَا الْعَمَلُ صَرَّحُوا بِوَحِيدِ الْعِبَادَةِ لِمَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَادُوا مُشْرِكِينَ وَسَمَوْا شِرْكَهُمْ إِعْتِقَاداً بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَا هُوَ إِلَّا الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ الْعَمَلُ لِدِينِ اللَّهِ عَالِي

وقابل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين
أحق من شرك أهل زماننا بأمرين

أحدهما أن الأولين لا يُشركون ولا يدعون، ألملائكة
والأولياء، والأوثان مع الله إلا هي الرُحَاء، وأما هي الشدة
فيخلصون لله الذيب، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَثُكُمُ الصُّرُ
فِي الْبَحْرِ صَلَ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
أُغْرَضْتُمْ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾، وقوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ، فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ
شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وقوله ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
صُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِياً إِلَيْهِ﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ
قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وقوله ﴿وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْخٍ
كَالطُّلِّ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، فمن فهم هذه
المناسبة التي وصحها الله في كتابه وهي أن المشركين
الذيب قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون لله ويدعون غيره في

أَرْحَاءَ، وَأَمَّا فِي الضَّرِّ وَالشُّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُسَوِّونَ مَادَاتِهِمْ، نَسِ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شَرِكِ أَهْلِ زَمَانَا وَشَرِكِ الْأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ أَتَى مِنْ يَفْهَمُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فَهَمَّا رَابِحَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ^(١)

وَالْأَمْرُ الثَّانِي - أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْسَاءً مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِمَّا أَنْبِيَاءَ وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ وَإِمَّا مَلَائِكَةً، وَيَدْعُونَ أَشْجَاراً أَوْ أَحْجَاراً مُطْبِيعَةً لِلَّهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً، وَأَهْلُ زَمَانَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْسَاءً مِنْ أَقْسَى النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُوهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَحْلُوتُ لَهُمُ الْمُخْشَوْرُ مِنَ الرُّنَا، وَالسَّرِقَةُ، وَتَرْكُ الصَّلَاةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٢) وَالَّذِي يَتَّقِ فِي الصَّالِحِ أَوْ الْبَدِي لَا يَعْصِي

(١) وَأَمَّا إِذَا مَرَّ بِمَنْ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ التَّوْحِيدَ الصَّحِيحَ الْمَعْنَى عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَدَعْهُ فِي هَذِهِ الرُّسْمِ وَكُنْزِ أَمْرِهِ وَالْإِدْعَاءِ إِلَيْهِ وَفَلْيَكْ رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادَتِهِ ثُمَّ يَسْبِغُ الْمَسْأَلَةَ كَمَا يَكُونُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِهِ وَيُتْلِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ الْمُسْتَعِينِ وَأَوْلَاةُ وَتَلَامِيذُهُ مَعَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ حَبْرًا

(٢) عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ إِلَى أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ هَذِهِ تَصَنُّعٌ وَيَعْدُوها مِنَ الْكِرَامَاتِ كَمَا يَعْنِيهِ الشَّرْحُ فِي كِتَابِهِ

مِثْلُ لَحِيبٍ وَالْحَمْرُ أَقْوَمُ مِثْلُ يَتَقَفَّدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ شَهْدَهُ
وَفَسَادُهُ وَيُشْهَدُ بِهِ .

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الْدِّينَ قَاتِلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحُ
عُقُوبًا وَأَخَفُ شِرْكًا مِنْ هَؤُلَاءِ فاعْلَمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ شَهْدَةُ
يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شَهْمِهِمْ فَذُفَع
سَمْعَكَ لِحَوَائِهَا .

* وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الدِّينَ نَزَلَ بِهِمْ لَعْنًا لَا
يُشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُكَذِّبُونَ الرُّسُولَ، وَيُكْفِرُونَ
الْبَيْتَ، وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ وَيَحْمِلُونَهُ سِحْرًا، وَيَحْسُ شَهْدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ،
وَنُؤْمِنُ بِالْبَيْتِ، وَنُصَلِّي، وَنُصُومُ، فَكَيْفَ نَحْمِلُوبِ مِثْلِ
أُولَئِكَ؟ فَالْحَوَاتِ . أَنَّهُ لَا حِلَّافَ بَيْنَ الْعَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ
رَجُلًا إِذَا صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَبَهُ فِي شَيْءٍ؛
بِهِ كَذِبٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ

وَكَذَلِكَ إِذَا امْسَ سَمِعَ الْقُرْآنَ وَحَدَّ نَفْسَهُ، كَمَنْ

أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ، وَحَدَّ وَخَوَّبَ الصَّلَاةَ، أَوْ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ
وَالصَّلَاةَ، وَحَدَّ وَخَوَّبَ الرُّكْعَةَ، أَوْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلَّهُ وَجَعَدَ
الصُّومَ، أَوْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلَّهُ وَحَدَّ الْحَجَّ، وَلَمَّا لَمْ يَنْقُذْ نَاسٌ
مِنْ النَّاسِ إِلَّا لِلْحَجِّ لِلْحَجِّ، أَمَرَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
عَمِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

وَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلَّهُ وَحَدَّ التَّمَتُّتَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ وَخَلَّ
دَمَهُ وَمَالَهُ، كَمَا قَالَ حَلَّ حِلَالَهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وِرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نَحْنُ
بِغَيْرِ غَيْرٍ، وَنَكْفُرُ بِغَيْرِ غَيْرٍ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا﴾، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ أَمْسَ بِغَيْرِ غَيْرٍ
وَكَفَرَ بِغَيْرِ غَيْرٍ هُوَ الْكَافِرُ حَقًّا، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَا ذَكَرَ. زَالَتْ
هَذِهِ الشُّبُهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْإِحْسَاءِ

في كتابه الذي أرسل إليه^(١)

❖ وَيُقَالُ أَيْضاً إِذَا كُنْتَ تُقْرَأُ مِنْ صَدَقِ الرَّسُولِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَحَدَّ وَخَوَّبَ الصَّلَاةَ، أَنَّهُ كَامِرٌ حَلَالُ الدَّمِ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقْرَأَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّغْتِ^(٢)، وَكَذَلِكَ إِذَا جَحَدَ وَخَوَّبَ صَوْمَ رَمَضَانَ لَا يَخْجُذُ هَذَا، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَحْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا قَدْ بَيَّنَّا، فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ مَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالرُّكَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الْإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كَفَرًا؟ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرَّسُولِ كُلُّهُمْ لَا يَكْفُرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَغْعَبَ هَذَا الْجَهْلُ^(٣).

(١) كتاب الأحكام في ركن الشريعة لعلمه بالعلماء من سائر المذاهب فعاد بعضهم
وعلى الله تعالى فالحق والهدى يوحى الله

(٢) أي فهو كافر حلال الدم والمال

(٣) أي إذا ظهر السب بطل دعوى التمسك به بأمر من المذاهب أو غيرها من غيرها

وَيَقَالُ أَتَيْتُكُمْ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتِلُوا
مَنْ حَبِطَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ وَيُؤَدُّونَ، فَإِنْ
قَالَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنْ مُسْلِمَةٌ مَيِّ، قُلْنَا هَذَا هُوَ
الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مِنْ رَفِيعٍ رَحَلًا إِلَى رُتْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ، كَفَرَ
وَحُلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَمَعُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ
يَمْنَعُ رَفِيعٌ شَيْئًا أَوْ يُؤَسِّفُ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا، إِلَى مَرَّتَةٍ
حَارَّ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَكْثَمَ شَأْنَهُ
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَيُقَالُ أَهْبَأَ الدِّينَ خَرَقَهُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ، كُلُّهُمْ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ
 عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصُّحَّانَةِ وَلَكِنْ

== عباده حر الله ليس شرك في هذا الشرك هو الجحد للأقسام وأما الدعاء والدفع والفرار والأسماعنة مع الله فهو ما يرد به إلى الله وقد صرح بذلك في كتبهم. ومع ذلك فقد

اَعْتَقِدُوا فِي عَلِيٍّ، مِثْلَ الْاِعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشُمُوسَانَ
وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أَتَجْمَعُ الصُّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟
أَنْطَلُوبُ أَنَّ الصُّحَابَةَ يُكْفِرُونَ الْمُسْلِمِينَ، أَمْ نَطْلُبُونَ أَنَّ
الْإِعْتِقَادَ فِي نَاحٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَصُرُّ، وَالْاِعْتِقَادَ فِي عَلِيٍّ نَسْ أَيْ
طَالِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْفَرُ؟

وَيُقَالُ أَيْضًا نُوَعِيْدُ الْقَدَاحَ الَّذِينَ مَلَكَوا الْمَغْرِبَ
وَمَضَرِي رِمَانَ نَبِيِّ الْعَنَاسِ، كُلُّهُمْ بِشَهَادَةٍ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ
الْحُمْسَةَ وَالْخَمَاعَةَ فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُحَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ
ذَوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَتَجْمَعُ الْعُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَأَنَّ
بِلَاذِهِمْ بِلَادُ خَرْبٍ، وَعِرَاهُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَفْذَوْا مَا
بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ

وَيُقَالُ أَيْضًا إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَهُمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُ
حَمَقُوا نِسْبَ الشُّرْكَ وَتَخَذِبَ الرُّسُولَ بِحَقِّهِ وَالْقُرْآنَ، وَإِنْكَارَ
النَّبِيِّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى أَتَابَ أَيْدِي دُكْرِ الْخَمْسَةِ، فِي

كُلُّ مَذْهَبٍ دَابٌّ حُكْمُ الْمُرْتَدِّهِ وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُكْفَرُ
عَنْدَ إِسْلَامِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكْفَرُ
وَيُحِلُّ دَمَ الرُّحُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى أَتَاهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ نَسِيرَةً عِنْدَ
مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلُ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ أَوْ كَلِمَةٍ
يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّيْلِ

وَيُقَالُ أَيْضاً الدِّينُ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ مَا
قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعَدِ إِسْلَامِهِمْ﴾ أَمَّا
سَمِعْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كُتُوبِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ يُحَاجِدُونَ مَعَهُ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ وَيَزُكُّونَ وَيُحْجُونَ
وَيُؤْخَذُونَ، وَكَذَلِكَ الدِّينُ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبَالِلُ اللَّهِ
وَأَيَانَهُ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِعَدِ
إِيمَانِكُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الدِّينُ صَرَّحَ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَدِ إِيمَانِهِمْ
وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَزْوَةِ تَوَكُّ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا
أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ

* وَأَمَّا هَذِهِ الشُّبْهَةُ وَهِيَ قَوْلُهُمْ يُكْفَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

أَناساً يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُضِلُّونَ وَيُضْمِرُونَ، ثُمَّ نَاقِلُ جَوَابِهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا جِي هِدِيهِ الْأَوْرَاقُ^(١)

وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً مَا حَكَى اللَّهُ عَنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وَقَوْلُ نَاسٍ مِنَ الصُّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» فَحَلَفَ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا.

❖ وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبُهَةٌ يُذَلُّونَ بِهَا عِنْدَ هِدِيهِ الْقِصَّةِ وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: فَإِنَّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» لَمْ يَكْفُرُوا

فَالْجَوَابُ أَنَّ تَقُولَ: إِنَّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلَا جِلَافَ فِي أَنَّ

(١) ودلت أن شبههم من أنقضى الشك طبعاً وأثبت دعياً فإن من شهد أن لا إله إلا الله وحده وحدهم العظيم إطلاق الكفر عليه عند المحقق ولم يعلم أنه هدم هذه الأعمال بسببه ودعوه غير الله فلم يضره عبادته لأن من لم يكف بالوحدانية المحالين لم يعد الله عندهم حاد هذا الجواب من أنفع الأحكام

سي إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لَكُفَرُوا،
وكذلك لا جلاف في أن الدين نهاهم السي ﷺ لو لم
يُطِيعُوهُ واتَّخَذُوا دَاتِ أَتَوَاطٍ بِغَدِ نَهْيِهِ لَكُفَرُوا، وَهَذَا هُوَ
الْمَطْلُوبُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمَ نَلِ الْعَالَمِ قَدْ يَقَعُ
فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشُّرْكِ لَا يَذَرِي عَنْهَا فَتَعِيدُ التَّعَلُّمِ وَالتَّحَرُّزِ
وَمَعْرِفَةِ أَنَّ قَوْلَ الْحَاحِلِ التَّوْحِيدِ فَهَمَّاءُ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ
الْحَقْلِ وَمَكَابِدِ الشَّيْطَانِ

«وَتُعِيدُ، أَيْضاً أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كَفَرٍ وَهُوَ لَا
يَذَرِي عَنْهُ عَلَى ذَلِكَ قَاتِلٌ مِنْ سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، كَمَا
فَعَلَ سُوَ إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ سَأَلُوا السَّيِّ ﷺ، «وَتُعِيدُ، أَيْضاً أَنَّهُ
لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُعَلِّطُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ تَعْلِيظاً شَدِيداً كَمَا فَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

• وَلِلْمُشْرِكِينَ شَهَةٌ أُخْرَى يَقُولُونَ إِنَّ السَّيِّ ﷺ أُنْكَرَ
عَلَى أُسَامَةَ قَتَلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ لَهُ وَأَقْتَلْتَهُ

بعد ما قال لا إله إلا الله^٤، وكذلك قَوْلُهُ «أَمَرْتُ أَنْ تُقَاتَلَ
النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وأُحَادِثُ أُخْرَى مِنْ
الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا، وَمَرَادُ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ
وَلَا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيَقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ
الْيَهُودَ وَسَنَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ أَصْحَابَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيْفَةَ وَهُمْ بِشَهَادَةٍ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷻ وَتُصَلُّونَ وَتَدْعُونَ الْإِسْلَامَ،
وَكَذَلِكَ الدِّينَ خَرَقَهُمْ عَلَيَّ مِنْ أَبِي طَالِبٍ بِالْبَارِ

❖ وَهَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ يَقُولُونَ: إِنْ مِنْ أَكْثَرِ النَّعْثِ كُفْرًا وَقَتْلًا
وَلَوْ قَاتَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ أَحَدَ شَيْئًا مِنْ رُكُوبِ
الْإِسْلَامِ كُفْرًا وَقَتْلًا وَلَوْ قَالَهَا، فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا أَحَدَ فِرْعَانَ
مِنْ لَفُوعٍ^٥ وَتَنْفَعُهُ إِذَا أَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ سَبَسُ دِينِ
الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ، وَلَكِنْ أَغْدَاءُ اللَّهِ مَا فَهَمُوا مَعْنَى
الْأَحَادِثِ، وَلَنْ يَفْهَمُوا

دُعَا حَدِيثُ أُسَامَةَ فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَى الْإِسْلَامَ بِسَبَبِ
 أَنَّهُ ظَنُّ أَنَّهُ مَا ادَّعَى الْإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَى ذِمَّةِ وَمَالِهِ،
 وَلِرُحُرٍ إِذَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَجِبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يُتَبَيَّنَ مِنْهُ
 مَا يُحَالِفُ ذَلِكَ وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِذَا صَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ أَيِ تَبَيَّنُوا، فَلَا يَنْبَغُ
 تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَحِبُّ الْكَفُّ عَنْهُ وَالتَّيَبُّ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ نَعْدُ
 ذَلِكَ مَا يُحَالِفُ الْإِسْلَامَ قَتَلَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وَلَوْ
 كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّيَبِّ مَعْنَى، وَكَذَلِكَ
 الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَأَمَّا هَذَا

مَعْنَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ وَالْإِسْلَامَ وَجِبَ
 الْكَفُّ عَنْهُ إِلَّا أَنْ يُتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يَنَاقِضُ ذَلِكَ.
 وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي قَالَ:
 «أَقْسَمْتُ نَعْدُ مَا قَالَ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَالَ: «أَمَرْتُ أَنْ
 يُقَاتَلَ لُدُسٍ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هُوَ الَّذِي قَالَ فِي
 الْحَوَارِجِ «أَيْسَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ لَنْ أَذْرَكْتَهُمْ لِأَقْسَمْتُهُمْ

فَنُفِّلَ عَادِهِمْ مَعَ كُوفِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عَسَادَةً، وَتَهْلِيلًا
وَتُسْبِيحًا، حَتَّى أَنْ الصُّحَّانَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ،
وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصُّحَّانَةِ فَلَمْ تَفْعَلْهُمْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَا كَثْرَةَ الْعِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءَ الْإِسْلَامِ لَمَّا طَهَرَ مِنْهُمْ مُحَالِفَةُ
الشَّرِيعَةِ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ وَقِتَالِ الصُّحَّانَةِ نَبِي
حَبِيفَةً، وَكَذَلِكَ أَرَادَ ﷺ أَنْ يَعْزُوا نَبِي الْمُصْطَلِقِ لَمَّا أُخْبِرَ
رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مَتَعُوا الزَّكَاةَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا، وَكَانَ الرَّحْلُ كَادِمًا
عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِحَادِيثِ
النَّبِيِّ اخْتَنُوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ.

❖ وَلَهُمْ شَهَّةٌ أُخْرَى وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَسْتَنْفِشُونَ بِأَدَمَ، ثُمَّ سُوحَ، ثُمَّ بِإِسْرَافِهِمْ، ثُمَّ
بِعُوسَى، ثُمَّ بِعَيْسَى، فَكُلُّهُمْ يَتَعَبَّرُ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ قَالُوا فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِعَانَةَ بِعَبْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ

شركاً

وَالْحَوَاتِ أَنْ يَقُولَ سُحْحَانُ مَنْ طَمَعَ عَلَى قُتُوبِ
 عُذَّتْهُ، فَإِنَّ الْإِسْتِعَاثَةَ بِالْمَخْلُوقِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا
 تُكْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى ﴿فَاسْتَعَاثَ الَّذِي
 مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وَكَمَا يَسْتَعِيثُ الْإِنْسَانُ
 بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا
 الْمَخْلُوقُ، وَحَرَى أَنْكُرًا اسْتِعَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ
 قُرَرِ الْأَوْلِيَاءِ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا
 لَا لِلَّهِ

إِذَا نُسِئَ ذَلِكَ فَاسْتِعَاثَتُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِيدُونَ
 مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُخَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَشْفِيحَ أَهْلُ
 الْحُكْمِ مِنْ كَرَمِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
 وَدَلِيلُكَ أَنَّ نَائِيَّ عِنْدَ رَجُلٍ ضَالِحٍ خِيَّ يُخَالِسُكَ وَيَسْمَعُ
 كَلَامَكَ وَتَقُولُ لَهُ ادْعُ اللَّهَ لِي كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَّا نَعْدُ مَوْتَهُ، فَحَاشَا

وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوا ذَلِكَ عِنْدَ قَوْمِهِ، بَلْ أَتَكَرَّ السُّلُفُ عَلَى مَنْ
قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَوْمِهِ، فَكَيْفَ يَدْعَاهُ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

* وَلَهُمْ شُكَّةٌ أُخْرَى وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ
اعْتَرَضَ لَهُ جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ لَهُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ
إِبْرَاهِيمُ أَمَا إِلَيْكَ فَلَا، فَقَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ الْإِسْتِعَاذَةُ مِنْ شُرْكَائِهِ لَمْ
يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّكَّةِ الْأُولَى فَإِنَّ
جَبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقُذَهُ بِأَمْرِ يَقْبَلُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ فَلَوْ أَدْرَكَ أَنَّهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ
إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي
الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ
إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ، وَهَذَا تَمَرُّجٌ غَيٌّ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَرَى
رَحْمَةً مَحْتَجًّا فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرُسَهُ أَوْ أَنْ يَهْلِكَ شَيْئًا يَقْصِي

به حاجته فيأبى ذلك المحتاح أن يأخذ ويضرب إلى أن يأتيه
لله رزق لا مئة به لأحد، فأين هذا من استغاثه العبادة
والشرك لو كانوا يفقهون^(١)؟

ولنحتم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم
ونكر نكرها لها الكلام لعظم شأبها ولكثرة الغلط فيها
نصون^(٢).

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان
والعمل فإن احتل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً،
وهو عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر
فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس
يقولون: أن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق،

(١) لا سمحوا لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا استغاث من استغاث بهم وذلك بعض
الفرق، قال تعالى ﴿إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ فبما لا يسمعون لا يبالون
وهم في صلات ما دأبوا بدعوتهم لمخالفتهم بعض القراء

(٢) هذه المسألة مبرح لها هي كتب التوحيد بمسألة الإيمان وأنه قول باللسان واعتقاد
بالقلب وحمل بالأركان

ولَكِنَّا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَا يَحُورُ عِنْدَ أَهْلِ بِلَدٍ إِلَّا مِنْ
وَأَفْقَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْدَارِ، وَلَمْ يَذَرِ الْمُسْكِبُ أَنْ
غَالِبَ أَثْبَتِ الْكَفَرِ يَغْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتَرَكُوهُ إِلَّا شَيْءٌ مِنْ
الْأَعْدَادِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ ﴿يَغْرِفُونَهُ كَمَا
يَغْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾

وَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا طَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ وَلَا
يَتَقَبَّضُهُ بَقَلْبِهِ، فَهُوَ مُفَاقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْحَالِصِ
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَجَةِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ طَوِيلَةٌ تُبَيِّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّنْتَ فِي
الْأَسَةِ لَأَنْ تَرَى مِنْ يَغْرِفُ الْحَقَّ وَيَتْرَكُ الْعَمَلَ بِهِ، لِحُوفِ
مُقْصَصٍ دُنْيَا أَوْ حَاجَةٍ أَوْ مُدَارَةٍ لِأَحَدٍ، وَتَرَى مِنْ يَفْعَلُ بِهِ حَادِرٍ
لَا يَاطِبُ، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَتَقَبَّضُهُ بَقَلْبِهِ وَهَذَا هُوَ لَا يَغْرِفُهُ
وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِهِمْ أَنْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

أَوَّلَهُمَا، قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا يَعْدُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِغَدٍ

بِعَمَانِكُمْ ﴿ فَإِذَا تَحَفَّظْتُ أَنْ يَفْضُرَ مَصْحَابِي الدِّينَ عَزَا رُؤُوسِ
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَفَرُوا بِسَبِّ كَلِمَةٍ قَالُوا هِيَ عَلَى وَجْهِ
 اللَّعِبِ وَالْمُزَاحِ ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَفْرِ وَيَعْمَلُ بِهِ
 خَوْفٌ مِنْ يَفْضُرَ مَرْءٍ ، أَوْ حِدَةٍ أَوْ مَدْرَاةٍ لِأَخِيذٍ ، أَكْثَرُكُمْ بِمِثْلِ
 بِنْتِكُمْ بِكَلِمَةٍ يَمُزَّحُ بِهَا

وَالْآيَةُ الثَّابِتَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ
 إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَتَمَّرَهُ وَقَتْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مِنْ شَرَحَ
 بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ،
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ الْآيَةُ ، فَلَمْ
 يَغْدِرِ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ ، لَا مِنْ أَتَمَّرَهُ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا
 بِالْإِيمَانِ ، وَمَا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِغَدِ يَمَانِهِ سَوَاءً فَعَلَهُ خَوْفًا
 أَوْ مُدَارَةً ، أَوْ مَشَاحَنَ بَوَاحِشِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ ، أَوْ
 فَعَلَ عَلَى وَجْهِ الْمُزَاحِ أَوْ لَغْوٍ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ إِلَّا
 لِمُكْرِهِ

فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا مِنْ وَجْهِينَ

الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ ، فَلِمَ يَسْتَشِرُّ اللَّهُ
تَعَالَى إِلَّا الْمَكْرَهَ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى
الْكَلَامِ أَوْ الْفِعْلِ ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ غَيْرَهَا ،
وَالثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ
سَبَبَ الْإِعْتِقَادِ وَالْحَهْلِ وَالْبَغْضِ لِلدِّينِ وَمَحَبَّةِ الْكُفْرِ ،
وَأَمَّا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَطًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرُهُ عَلَى
الدِّينِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

﴿ تمت والحمد لله رب العالمين ﴾

الرِّسَالَةُ الْمَفِيدَةُ الْمُهِّمَّةُ الْجَلِيلَةُ

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَمَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى،
أَمَّا بَعْدُ: فَاعْلَمُوا أَنَّ شِدَّةَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْحَقُّ
لِيَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وَالْعِبَادَةُ هِيَ التَّوْحِيدُ لِأَنَّ الْحُصُومَةَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ
فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

وَأَمَّا التَّوْحِيدُ فَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ تَوْحِيدُ الرَّبُّوبِيَّةِ،
وَتَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصُّمَاتِ

أَمَّا تَوْحِيدُ الرَّبُّوبِيَّةِ: فَهُوَ الَّذِي أَقْرَبَهُ الْكُفَّارُ عَلَى رَمَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَقَاتَلَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَحْلَى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهُوَ تَوْحِيدُهُ بِمَقْلِهِ
تَعَالَى، وَلِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ
 اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿٤٨﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ. قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ.
 قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ يَدْعُكَ كُلُّ شَيْءٍ؟ وَهُوَ يُجِيرُ
 وَلَا يُخَارِعُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ. قُلْ فَأَنَّى
 نُنَصِّرُوكَ؟ وَالْآيَاتُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ حَتَّى أَكْثَرَ مِنْ أَنْ
 نُخَصِّرَ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَذَكَّرَ

(وَأَمَّا الثَّانِي) وَهُوَ تَوْجِيهُ الْأَلُوْهِيَّةِ : فَهُوَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ
 السَّرَاقُ فِي قَدِيمِ الدُّعَاءِ وَحَدِيثِهِ وَهُوَ تَوْجِيهُ اللَّهِ تَعَالَى
 بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ كَالِدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالسَّحَرِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ
 وَلِتَوْكُلِ وَالرُّعْةِ وَالرَّهْةِ وَالْإِيمَانِ

وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
 أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جهنم داجرين ﴿١﴾ ، وكل نوع من هذه الأنواع عنده دليل من القرآن .

وأصل العبادۃ تخريد الإخلاص لله وحده وتخريد المتابعة للرؤسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَأَنْ الْمَسَاحِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ - إِلَى قَوْنِهِ - وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ وقال تعالى ﴿دَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وَالْآيَاتُ مَعْلُومَاتٌ ، وقال تعالى ﴿وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(وَأَمَّا الثَّالِثُ) فَهُوَ تَوْحِيدُ الذَّاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّمَاتِ
 وَنُفُوسِ النَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْرَؤُنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ
كَمِثْلُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ صَدَّ التَّوْحِيدِ الشُّرْكُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:
شُرْكٌ كَثْرٌ وَشُرْكٌ أَصْغَرٌ، وَشُرْكٌ حَقِيٌّ

وَالذَّلِيلُ عَلَى الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صِلًا بَعِيدًا﴾

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

(النُّوعُ الْأَوَّلُ) شُرْكُ الدَّخْوَةِ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى
﴿عَادُوا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

(النوع الثاني) شرك النية والإرادة والقصد: والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتِهَا نُوفُ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَتَخَسَّوْنَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَخَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(النوع الثالث) شرك الطاعة: والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المنصية لا دعاؤهم، إياهم، كما فسرهما النبي ﷺ، لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لئن أعبدتهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المنصية.

(النوع الرابع) شرك المحبة: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَتَدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

(والنوع الثاني) شرك أضمر: وهو الرباء: والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

(والنوع الثالث) شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع:

(النوع الأول) كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه، أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾.

(النوع الثاني) كفر الإباء الاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾

(الشُّعْرُ الثَّالِثُ) كَفَرُ الشُّكِّ وَهُوَ كَفَرُ الظَّنِّ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا، قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ، ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا؟﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٥٤﴾

(الشُّعْرُ الرَّابِعُ) كَفَرُ الْإِعْرَاضِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مَضْرُوعُونَ﴾

(الشُّعْرُ الْخَامِسُ) كَفَرُ النِّفَاقِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

وَكَفَرُ اضْغَرُّ لَا يُخْرَجُ مِنَ الْعَمَةِ وَهُوَ كَفَرُ النُّعْمَةِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ

فَإِذَا نَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا النِّفَاقُ فنَوَعَانِ : اِعْتِقَادِي وَعَمَلِي
وَأَمَّا اِلْعِتْقَادِي فَهُوَ سِتَّةُ بَأَنَوَاعٍ : تَكْذِيبُ الرُّسُولِ ﷺ
أَوْ تَكْذِيبُ بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ أَوْ الْمَسْرُءُ بِانْخِفَاضِ
دِينِ الرُّسُولِ أَوْ الْكَرَاهِيَّةُ لِإِتِّصَارِ دِينِ الرُّسُولِ ، فَهَذِهِ
الْأَنَوَاعُ السِّتَةُ صَاحِبُهَا مِنْ أَهْلِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .
وَأَمَّا الْعَمَلِي فَهُوَ عَشْرَةُ أَنْوَاعٍ : وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷺ : « آيَةُ
النِّفَاقِ ثَلَاثٌ . إِذَا حَدَّثَ كَذِبٌ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا
اتَّخَذَ خَانًا ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ .
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النِّفَاقِ وَالشَّقَاقِ وَسُوءِ الْأَذْبِ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

﴿ نَمَتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾